- **المحاضرة الأولى**

❖ المبحث الأول: شرح آيات حول الإصلاح

✓ الآية الأولى:

قال الله تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[النساء : 114].

دلالة الآية على الإصلاح:

دلت الآية الكريمة على أهمية الإصلاح، وفضله، والحث عليه، من عدة وجوه:

- **الوجه الأول**: تخصيص الإصلاح بين الناس بالذكر مع إنه داخل في عموم المعروف المذكور قبله في الآية، وهذا يدل على فضله وأهميته.

قال ابن عطية: «والمعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خُصَّا بالذكر اهتماماً بهما، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد».

وقال البقاعي: «ولما كان إصلاح ذات البين أمراً جليلاً، نبه على عظمه بتخصيصه بقوله: (أو إصلاح بين الناس)».

وقال ابن رجب: «فنفى الخير عن كثيرٍ ممّا يتناجى الناسُ به إلاَّ في الأمر بالمعروف، وخص من أفراده الصدقة، والإصلاح بين النَّاس؛ لعموم نفعهما، فدل ذلك على أن التَّناجي بذلك خيرٌ».

- **الوجه الثاني**: جعل الله الإصلاح بين الناس والأمر بالصدقة والمعروف خيراً ولو لم يبتغ الفاعل به وجه الله، وهذا دليل على عموم نفعه وفضله، فمتى وجد حصل به خير.

قال ابن رجب: «وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيراً، وإن لم يبتغ به وجه الله؛ لما يترتب على ذلك من النفع المتعدي فيحصل به للناس إحسان وخير، وأما بالنسبة إلى الأمر فإن قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته كان خيراً له وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيراً له ولا ثواب له عليه).

- **الوجه الثالث**: إفادة العموم في قوله تعالى: (أو إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) من جهتين:

الأولى: من جهة من يُصلَح بينهم، فعم جميع الناس، ولم يخص أحدا دون أحد. والثانية: من جهة ما يُصلَح به، فلم يخص امرأً دون غيره، فهو شامل للإصلاح في الأموال، والدماء، والأعراض، والأديان وغيرها، فهذا العموم يدل على رغبة الشارع في الإصلاح وتطلعه إليه.

قال القرطبي: «(أو إصلاح بين الناس) عام في الدماء، والأموال، والأعراض، وفي كل شئ يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى».

- **الوجه الرابع**: الإتيان بضمير الإشارة الدال على البعيد في قوله: (ومن يفعل ذلك) مع قرب العهد به يدل على علو مكانةِ الإصلاح وما ذكر معه، ورفعةِ شأنه.

قال أبو السعود: «(ومن يفعل ذلك) إشارة إلى الأمور المذكورة، أعني الصدقة والمعروف، والإصلاح؛ فإنه يشار به إلى متعددٍ، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للإيذان ببعد منـزلتها ورفعة شأنها».

- **الوجه الخامس**: عظم ثواب الإصلاح بين الناس وكثرته يدل على فضله، ويحث على فعله.

قال الطبري: «(فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا) يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك أجراً عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغ ما سمى الله (عظيمًا) يعلمه سواه».

✓ الآية الثانية:

قالَ الله تَعالَى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)[النساء:128- 129]

دلالة الآية على الإصلاح:

دلت الآية على الحث على الإصلاح وبيان فضله من عدة وجوه:

- **الوجه الأول**: قوله تعالى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا) حيث نفى الإثم عن الزوجين فيما تصالحا عليه، ولو كان في الصلح ترك، أو إسقاط بعض الحقوق الواجبة، مع أن الأصل لزوم الحقوق الواجبة، ومثل هذا الصلح جائز بالإجماع، قال السعدي موضحاً ذلك:

«أي: إذا خافت المرأة نشوز زوجها، أي: ترفعه عنها، وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة: أن يصلحا بينهما صلحا، بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة، أو الكسوة، أو المسكن، أو القسم، بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها، فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة».

قلت: ويدل على فضل مصالحة المرأة لزوجها ولو بترك بعض حقها: ما ثبت في سبب نزول هذه الآية: أنها في مصالحة أم المؤمنين سودة للنبي صلى الله عليه وسلم، حينما وهبت يومها لعائشة، كما رواه الترمذي وأبو داود الطيالسي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني وأجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت: (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير).

- **الوجه الثاني**: قوله تعالى: (صلحا)، فكلمة (صلحا) مصدر مؤكد، يؤكد الصلح، ويحث عليه، ويرغب فيه.
- **الوجه الثالث**: إخباره جل وعلا بأن الصلح خير، وإطلاق ذلك، قال ابن عطية: «وقوله تعالى: (والصلح خير) لفظ عام مطلق يقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق».

وقال الطاهر بن عاشور: وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد في قوله: (صلحا)، والإظهار في مقام الإضمار في قوله: (والصلح خير)، والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة فإنها تدل على فعل سجية».

وقال السعدي: «(وَالصُّلْحُ خَيْرٌ).. والمعنى: أن الصلح بين مَنْ بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه؛ لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح، وهو جائز في جميع الأشياء، إلا إذا أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، فإنه لا يكون صلحاً، وإنما يكون جورا..»، ثم قال:

«ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان - مع ذلك- قد أمر الله به، وحثّ عليه، ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه».

- **الوجه الثالث** : الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر كلمة «الصلح» في قوله: (والصلح خير)، ولم يكن عنه بالضمير، وهذا يدل على الحث على الإصلاح والتأكيد عليه.
- **الوجه الرابع** : حثه على الصلح، بقوله: (وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)، حيث جعله مع التقوى سببا للمغفرة والرحمة، كما يشير إلى ذلك ختم الآية بقوله: (فإن الله كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا).

✓ الآية الثالثة:

قال الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[الأنفال:1].

دلالة الآية على الإصلاح:

لقد دلت الآية على الحث على الإصلاح وأهميته من عدة وجوه:

- **الوجه الأول**: أن الله أمر بالإصلاح ، وحرج على المؤمنين أن يفعلوه، والأمر يقتضي الوجوب ، قال ابن عباس: «هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم».
- **الوجه الثاني**: تأكيد الأمر بالإصلاح ضمنا في قوله تعالى بعد ذلك: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ).
- **الوجه الثالث**: الحث والإلهاب والتهييج على فعله، مع التقوى وطاعة الله ورسوله في قوله في آخر الآية: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، قال الشوكاني:

«..ثم قال: (إن كنتم مؤمنين) أي: امتثلوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بالله، وفيه من التهييج والإلهاب ما لا يخفى، مع كونهم في تلك الحال على الإيمان، فكأنه قال: إن كنتم مستمرين على الإيمان بالله؛ لأن هذه الأمور الثلاثة التي هي: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول، لا يكمل الإيمان بدونها، بل لا يثبت أصلاً لمن لم يمتثلها، فإن من ليس بمتق وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن».

✓ الآية الرابعة:

قال الله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[الحجرات:9-10].

دلالة الآية على الإصلاح:

دلت هذه الآية على الإصلاح من وجوه عدة:

- **الوجه الأول**: أمره جل وعلا بالإصلاح في قوله: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) وقوله: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)، والأمر يقتضي الوجوب إلا إذا صرفه صارف، ولا صارف له هنا عن ذلك.
- **الوجه الثاني**: أن الله أمر بالبداءة به قبل كل شيء، فقال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) فدل على فضله وأهميته.

- **الوجه الثالث**: أن الله أمر به بعد الاقتتال أيضاً، مما يدل على أن الصلح أمر لازم لا بد منه، ولا يصلح الحال بدونه، فمن لم يستجب له أولاً يقاتل حتى يرجع إليه ويرضى به.
- **الوجه الرابع** : أن عاقبته حميدة، فهو الذي يزيل ما يحصل في النفوس من الشر والنـزاع والبغضاء قبل الاقتتال وبعده إن حصل.
- **الوجه الخامس**: أن الإصلاح من مقتضى الإخوة الإيمانية، ولا تصلح إلا به؛ فإنه لما ذكر أن المؤمنين إخوة أعقبه بالأمر بالإصلاح بينهم.

- **المحاضرة الثانية**

❖ المبحث الثاني: أحاديث ورد فيها ذكر الإصلاح

✓ الحديث الأول

ما رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة؟)) قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة)).

ثم قال الترمذي بعد تصحيحه للحديث: ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)).

ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بأداة التنبيه: «ألا»، وهي تقتضي أهمية المنبـه عليه وهو هنا: الإصلاح، وأخبر أنه أفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة.

قال الطيبي في شرح هذا الحديث:

«فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه».

✓ الحديث الثاني

روى البخاري في التاريخ الكبير والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن)).

يدل هذا الحديث العظيم على فضل الإصلاح، حيث أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه ما عمل ابن آدم عملاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن يتخلق

به المسلم، فقد جعل إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال التي يعملها ابن آدم، وهذا لاشك يدل على فضله وأهميته.

✓ الحديث الثالث

الحديث الثالث: روى الطبراني والبزار عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أفضل الصدقة إصلاح ذات البين)).

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن أفضل الصدقة هو إصلاح ذات البين، وذلك لنفعه المتعدي؛ لأن به يزول الشقاق والاختلاف والعداوة، وتحصل الإلفة والمحبة والاتفاق، وفي ذلك دلالة واضحة على فضله وأهميته.

✓ الحديث الرابع

روى البزار عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب: ((ألا أدلك على تجارة؟))، قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا)).

ورواه الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: ((ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟)) قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا...)) فذكره.

ورواه الطبراني أيضاً عن أبي أيوب، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا)).

ورواه عبد بن حميد والطيالسي بلفظ: ((يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يرضي الله ورسوله موضعها؟))، قال: بلى، قال: ((تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا)).

لقد تضمن هذا الحديث الشريف بمجموع طرقه وألفاظه فضل الإصلاح من وجوه:

- **الأول**: افتتاح الكلام بأداة التنبيه «ألا»، وهذا يقتضي أهمية الأمر وحتمية الانتباه له.
- **الثاني**: أنه سماه تجارة، وهو من التجارة الرابحة عند الله.
- **الثالث**: أنه سماه عملا يرضاه الله ورسوله.
- **الرابع**: أنه سماه صدقة يرضاها الله ورسوله.

وهذا يدل على فضل الإصلاح وأهميته، ومحبة الشارع له، والمسلم يحرص على ما يحبه الله ورسوله ويرضاه، ويسعى لتحصيله، ويبادر إلي العمل به.

✓ الحديث الخامس

روى البخاري ومسلم عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : ((كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَينِ

صَدَقَةٌ، وَتُعينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُميطُ الأَذى عَنِ الطَّريقِ صَدَقَةٌ)).

لقد ركب الله الإنسان من ثلاثمائة وستين مفصلا كما في الحديث الصحيح(1)، فينبغي له كلما طلعت شمس يوم كما في هذا الحديث أن يتصدق بعدد مفاصله ليشتري نفسه من ربه، وقد جاء في هذا الحديث جملة من الأعمال الصالحة التي إذا فعلها المسلم كان له بها صدقة، وذكر من بينها الإصلاح بين الناس بقوله ((تعدل بين اثنين صدقة))، وهذا فيه بيان فضل الإصلاح والحث عليه.

- ✓ **الحديث السادس**

ما رواه أحمد والترمذي عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس)).

بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الكذب لا يحل إلا في ثلاث خصال ، وهذا يدل على أن الأصل أن الكذب حرامٌ لا يحل، لكن إذا كان من أجل الإصلاح بين الناس إذا اختلفوا، أو من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين في الحرب؛ لأن الحرب خدعة، أو كان من أجل أن يرضي الرجل امرأته أو من المرأة مع زوجها كذلك كان جائزا.

قال الخطابي: «الكذب في الإصلاح بين اثنين: هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً، ويبلغه جميلاً، وإن لم يكن سمعه منه، يريد بذلك الإصلاح».

قلت: فجواز الكذب من أجل الإصلاح دليل على فضله وتطلع الشارع إليه.

- ✓ **الحديث السابع**

روى أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة عن أبي هريرة، وعمرو بن عوف المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)).

دل هذا الحديث على أن الصلح جائز، إلا إذا حرم حلالا أو أحل حراما، فيؤخذ منه جواز الصلح وإباحته، ولزومه يؤخذ من النصوص الأخرى.

([1]) ولفظه: (إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاَثِمَائَةِ مَفْصِلٍ...) رواه مسلم في صحيحه.

قال الشوكاني: «قوله: ((الصلح جائز)): ظاهر هذه العبارة العموم، فيشمل كل صلح، إلا ما استثني، ومن ادعى عدم جواز صلح زائد على ما استثناه الشارع في هذا الحديث فعليه الدليل».

- ✓ **الحديث الثامن**

روى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ، فَقَالَ: ((اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ)).

هذا الحديث يدل على فضل الصلح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه أمر أصحابه بالذهاب معه إلى أهل قباء من أجل الإصلاح، وسيأتي في ذكر أمثلة الإصلاح في السنة ذكر إصلاحه بين أهل قباء مفصلا.

- ✓ **الحديث التاسع**

روى أحمد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي عن أبي بكرة: أن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((إن ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ)).

يدل هذا الحديث على فضل الإصلاح من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحسن سيد، وذكر بعده ما هو بمثابة التعليل لسيادته، وهو الإصلاح بين فئتين عظيمتين.

يتبع..